

المجلد: 09/ العدد 01 جوان (2025)، ص.ص 286-295.

صناعة المصطلح النقدي في المدونة النقدية العربية

Creating the critical term in the Arab critical blog

د. بشير بن سعيد

bensaidbachir24@gmail.com

جامعة أحمد بن يحيى الوشريسي تيسمسيلت
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2025/06/02

تاريخ القبول: 2025/05/16

تاريخ الاستلام: 2025/01/25

ملخص:

تعد المصطلحات مفاتيح العلوم في كلّ زمان ومكان، وقد أولاه المتخصصون أهمية قصوى لصناعة المعرفة لا سيما في العصر الحديث، وإذا حصرنا دراستنا في المجال النقد الأدبي المعاصر في المدونة النقدية العربية سنجد تباينا واختلافا كبيرين في صناعة مصطلحات هذا العلم وفي توظيفها وفي فهم الخلفيات الفلسفية والفكرية التي أنجبتها. ولا يجد الباحث عنتا في اكتشاف هذا التباين والتأيز، وفي هذه المداخلة سنركز على إشكالية باتت تؤرق الباحثين والنقاد في مجال صناعة المصطلح النقدي وتبنيه، فنلاحظ أنّ الكثير من النقاد العرب توجهوا إلى التراث يغتفون منه ما يناسب تلك المصطلحات التي استجلبوها من الغرب دون مراعاة لمخاضها الفكرية والفلسفية والإيديولوجية، ومنهم من تنبأها كما وردت في ثوبها وملاحم يبتئها لم يغير منها شيئا، عن طريق آليات عدّة منها التعريب، الترجمة والدخيل والتحت وغيرها، فكيف تعامل نقادنا مع نقل هذه المصطلحات؟ الكلمات المفتاحية: التراث، المصطلح، النقد الأدبي، النقد العربي، صناعة المصطلح، إشكالية المصطلح.

Abstract:

Terminology is considered the key to science in all times and places, and specialists have given it utmost importance to the creation of knowledge, especially in the modern era. If we limit our study to the field of contemporary literary criticism in the Arab critical blog, we will find great discrepancies and differences in creating the terminology of this science, in using it, and in understanding the philosophical and intellectual backgrounds. Which she gave birth to. The researcher does not find it difficult to discover this contrast and distinction, and in this intervention we will focus on a problem that has become troubling researchers and critics in the field of creating and adopting critical terminology. We notice that many Arab critics turned to the heritage, extracting from it what suits those terms that they imported from the West without taking into

account their intellectual incubators. Philosophical and ideological, Some of them adopted it as it appeared in its dress and the features of its environment, without changing anything, through several mechanisms, including Arabization, translation, intrusion, sculpture, etc. So how did our critics deal with the transfer of these terms?

Keywords: *heritage, terminology, literary criticism, Arab criticism, terminology making, terminology problem.*

1- تمهيد:

تعد المصطلحات مفاتيح العلوم، وهي أداة للتعبير عن الأفكار والمفاهيم في حياة المجتمعات كلها، والمصطلحات كما هو معلوم تعد آلية لتطور العلوم وتقدمها في شتى مجالات المعرفة الإنسانية، واللغة والأدب والنقد إحدى فروع هذه المعرفة، وقد اجتهد العلماء في هذا الشق من المعرفة منذ القديم في اختراع وصناعة وإبداع المصطلحات التي تساهم في تسهيل دراسة هذه المعارف.

والمصطلحات هي أيضا أدوات تواصلية للتعبير عن مفهوم أو موضوع في مجال من المجالات العلمية، وقد أكد المتخصصون عند وضعهم للمصطلحات على وضوحها وضبطها وثباتها وعدم انزياحها عن الدلالة الموضوعية لها أصلا، فالمصطلح سواء كان كلمة أو العبارة يقابله مفهوم مفرد أو عبارة مركبة تؤدي بالضرورة حمولة دلالية محددة وواضحة وضيقة المجال لتجنب اللبس والغموض، وقد ينقل إلى ثقافة أخرى فنجد له ما يقابله في اللغات الأخرى.

والمصطلح لا يختص بعلم دون آخر ولا بميدان معرفي محدد فكل العلوم تحتاج إلى جهاز مصطلحي سواء أكانت تلك العلوم إنسانية أم اجتماعية أو تقنية وبكل فروعها، وتصفه الدراسات السوفياتية بأنه علم العلوم. إذن فلا يمكن لأي علم من العلوم أن يتطور ويتقدم دون جهاز مصطلحي.

وإذا خصصنا بعض الشيء وركزنا على المصطلح النقدي لدى الغرب أو لدى العرب ألفيناه يصاغ بعدد الآليات، منها الترجمة، والنحت والاشتقاق والافتراض والاقتراب والتوليد غيرها. وذلك حسب اللغة وخصائصها، كما أنّ المصطلح يهاجر من ثقافة إلى ثقافة، ومن بيئة إلى بيئة متأثرا بثقافة الغالب، وهذا تماما ما حصل للمصطلح النقدي حيث انتقل من الثقافة الغربية إلى الثقافة العربية متأثرا لا مؤثرا.

كما هو معلوم فإنّ الفكر العربي عموما، والنقد الأدبي بوجه خاص يعيش حالة أو أزمة تبعيّة للفكر الغربي، فقد اتفق جميع الباحثين على أن الباحث أو الناقد العربي يستمد المفاهيم النقدية من الغرب دفعة واحدة ودون مرحلة ومن غير أن يعرف ويفهم ويدرك مراحل تطور الحركة النقدية في بلاد الغرب وكذا حيثياتها، متجاهلا نشأتها الطبيعية وخلفياتها الفكرية والفلسفية، ويلاحظ المقلب لدفاتر المدونة النقدية العربية أنّ العديد من المفاهيم والمصطلحات النقدية التي استجلبت للساحة النقدية العربية وردت جاهزة مشحونة بجمولات فكرية غريبة عنا، وهذا تماما ما ولد إشكالية مفاهيمية وخطا مصطلحيا وسع الهوية ليس فقط بين الناقد العربي والغربي بل بين النقاد العرب أنفسهم.

2- الاضطراب المصطلحي في النقد العربي المعاصر:

تأسس على ما سبق يجد الباحث في مجال المصطلحية في المدونة النقدية العربية المعاصرة اضطرابا مصطلحيا كبيرا خاصة ما تعلق باستعمال واستجلاب المصطلحات الأجنبية، ويبدو أن هذا الاضطراب مرده إلى قضية التعريب،

والذي لم يكن مبنياً على أساس الجهود الجماعية، وقد انعكس بصورة مباشرة على الصناعة المصطلحية خاصة اللسانية لأنها تعتبر "النواة الصلبة والقاعدة الأساس لجُلِّ المناهج النسانية الرائجة الآن في ساحة النقد العالمي من نبوية وسميائية"¹ وأسلوبية وكذا مناهج ما بعد النبوية كالتفكيكية والنقد الثقافي والنسوية والتلقي والهرمينوطيقا.

يلاحظ بل يجزم الكثير من الدارسين المتخصصين في هذا المجال أن المصطلح النقدي لا سيما المعاصر في المدونة النقدية العربية المعاصرة يتميز بهذه الخصائص:

- تعدد المصطلحات وفوضى واضطراب في صناعتها وذلك من بلد عربي لآخر، وقد يتعدى الأمر ذلك ليصل بين باحث وآخر في البلد الواحد والأغرب من ذلك قد نجده عند الباحث نفسه.
- هذه المشكلة مردها إلى المحاولات الفردية لدى عديد النقاد والمشتغلين على ترجمة المصطلح لحب الكثير منهم التفرّد والأسبقية في صناعة المصطلح .
- عدم وجود مجامع أو هيئات علمية عبر الجامعات العربية موحدة تهتم بهذه القضية، وتضع الاستراتيجيات المستقبلية الموحدة.

-تلقى المصطلحات من البيئة التي نشأت فيها مباشرة دون فهم وإدراك علمي لما تحمله من حمولات دلالية، دون أن تغفل أيضاً اختلاف مصادر المصطلح الواحد، ومرجعياته الفكرية خلفياته الفلسفية.

3- صناعة المصطلح النقدي العربي المعاصر بين التراث والحداثة :

يذهب بعض الباحثين إلى أن قضية استحضار المصطلحات النقدية القديمة كمقابلات للمفاهيم النقدية المعاصرة وإعادة صياغتها بما يجعلها متطابقة مع المصطلحات المعاصرة من أكبر ما يصادف صناعة المصطلح اللساني والنقدي العربي، وقد انجر عن ذلك كثرة وتعدد المصطلحات واختلاف مدلولاتها، وقد عارض الباحث التونسي (عبد السلام المسدي) هذه التقنية فرأى أنه وفي كثير من الأحيان "ما يتجاوز الميراث الاصطلاحي ذوي النظر فيزحون إلى إحياء اللفظ واستخدامه في غير معناه المدقق"²، وهذا ما قد يحدث خلطاً بين المفهوم اللغوي الدلالي للمصطلح والمفهوم التركيبي النحوي، مما يضيف لمسة من الغموض والتعميم على المصطلح الواحد، وهذه أكبر معضلة في استحضار المصطلحات التراثية كبديل للمصطلح المستورد.

وهذا نفس ما ذهب إليه (عبد القادر الفاسي الفهري) في التحذير من استعمال المقابلات العربية التراثية لأن ذلك "يخلق توهماً بصدق المصطلح العربي على ما يصدق عليه المصطلح الغربي نتيجة إسقاطات ظرفية أو ذاتية يقوم بها المترجم، وينتهي إلى إيجاد مناسبات غير قائمة"³ دون مراعاة للخلفيات الفكرية والفلسفة وحتى الإيديولوجية العقائدية التي نبت وترعرع فيها المصطلح في البيئة الغربية والتي تختلف جذرياً عن معطيات البيئة العربية بكل تشكلاتها خاصة العقائدية منها وكذا الاجتماعية والتاريخية والنفسية غيرها. دون أن تغفل أن التراث العربي أو اللغة العربية التراثية لا يمكنها أن تستوعب كل ما يأتينا من الغرب لذلك وجب علينا تطويرها وتطويرها بما يلائم الحضارة المعاصرة، كما أن خصائص اللغة العربية وهي اشتقاقية تختلف تماماً عن خصائص اللغات الغربية وهي ذات خصائص لواحقية وسوابقية.

وتأكيداً على وجهة النظر هذه يبدأ الباحث الفهري بنفسه فيرى أنه على الباحث العربي -في هذا المجال- أن يتجنب الاستعانة بالمصطلحات التراثية كمقابلات للمصطلحات الوافدة من الغرب إذ يقول: "لأنّ توظيف المصطلح القديم لنقل مفاهيم جديدة قد يفسد تمثّل المفهوم الجديد والقديم على السواء"⁴، لأن تكرار استعمال المصطلح التراثي

يؤدي إلى سوء فهمه بتداخله مع دلالاته القديمة بمعنى أن المصطلحات التي تم استهلاكها في التراث العربي النقدي أخذت أو احتوت طائفة من المفاهيم التي وُضعت من أجلها وإذا أُعيد توظيفها فلا شك أنه سيحدث لبسا بين المفاهيم القديمة وما نحاول أن نحسنها به من مفاهيم جديدة مستوردة وبالتالي يتحول مدلول هذا الاستعمال إلى نوع من الخلط والإبهام والتشتت الدلالي.

ويبدو أن استحضر المصطلحات من التراث قد يفاقم مشكلة وأزمة صناعة المصطلح النقدي العربي وما يدل على وجود مشكلة في صناعة المصطلح النقدي العربي خاصة المعاصر منه ظهور طائفة من الباحثين والنقاد المجددين وسبيلهم في ذلك الثورة على المصطلحات القديمة بشكل عام واختلاق مصطلحات جديدة وتفضيلها عليها. وقد نبه الباحث المصري (عز الدين إسماعيل) - في مجلة فصول للنقد الأدبي - في بدايات صدورهما أن الباحثين والنقاد الذين ينشرون مقالاتهم عبرها يستعملون لغة غريبة على القراء، حيث بدى لهم أن المجلة قد طغت على محتوياتها العلمية - خاصة في حقل النقد الأدبي - لغة غير مألوفة والتي اعتبرها الكثير منهم بأنها لغة غامضة، ولعل السبب الرئيس في ذلك هو قضية المصطلح النقدي وترجمته، ف"المصطلح النقدي المتداول قبل مجلة فصول كان قد ابتذل واستهلك، ولأنه ابتذل حتى دلالاته الأصلية والحقائقية التي كانت قد تهاوت وضعفت... وأصبح الناس يكررونه دون أن يتدبروا المعنى الأصلي له... (فصول) طرحت لغة جديدة لأنها تعاملت مع المصطلح الجديد"⁵، فمنذ أن بدأت هذه المجلة النقدية في الصدور حاول المشرفون عليها تبني مصطلحات نقدية جديدة استقوها من المدونة النقدية الغربية كي تتماشى مع التقدم الحضاري الذي يشهده العالم وفي خضم التلاحق الفكري العالمي، ورأى الباحثون العرب المعاصرون أن استحضر التراث في مجال الصناعة المصطلحية قضية لا تخدم الخطاب النقدي العربي بأي شكل من الأشكال كون البون شاسع والمساحة الزمنية بعيدة جدا بين الحقلين، وإنه من الواجب على الناقد العربي تطوير نفسه وآلياته المنهجية والمصطلحية في مواجهة التطورات التي يشهدها العصر.

وتأسيسا على ما سبق سنحاول دراسة بعض النماذج التي حاولت اصطناع المصطلح أو ترجمته أو تعريبه سواء من التراث أو اعتمادا على المصطلحات الغربية. والمتنبع لحركة الترجمة والتعريب في الدونة النقدية العربية خاصة في مجال المصطلح النقدي يجد تباينا واختلافا واضحين بين النقاد العرب مشرقا ومغربا، فمنهم من لجأ إلى المصطلحات التراثية يأخذ منها المقابل، ومنهم من يستعين بالتعريف دونما أدنى تنسيق، ولنأخذ مثلا مصطلح العلامة (Signe) وهو مصطلح عند (دي سوسير) يوحد الدال والمدلول، وقد تنبأه كل النقاد الغربيين، في حين نجده يفرق جمهو نقاد العربية المتناثرة التي تختلف في ترجمته اختلافا يتناغم وحدة اللغة والتفكير والتاريخ وكل الخلفيات الفكرية والثقافية، وقد نتج عن ترجمته اختلافات فرعية عديدة، فهو (الدليل) في مجمل كتابات المغاربة، وهو (الإشارة) عند مشال زكريا وصلاح فضل، وهو (الرمز) - زيادة على العلامة - (مثلا الرمز هو Symbol) - في المقام ذاته - في معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، وهو (الرمز اللغوي) عند جوزيف شريم، وهو (السمة) عند عبد الملك مرتاض، وهو العلامة عند جمهور الدارسين السيميائيين⁶.

كما واجه النقد العربي الجديد من خلال الدراسات الألسنية الحديثة مشكلة مصطلحية كبيرة مع المصطلح الغربي البنيوية (Structuralisme) فقد ترجمه الباحثون العرب بعدد كبير من المقابلات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر؛ (البنيوية، البنائية، البنيوية، البنائية، البنيوية، التركيبية، الستروكتورالية، الوظيفية، المنهج البنيوي، المذهب

البنوي، النظرية البنوية، المذهب التركيبي، المنهج الهيكلافي) إذا فقد نجد الاختلاف أساساً حول مصطلح البنوية. أهو اتجاه لغوي أو منهج نقدي؟ فبعض الباحثين يستخدمه ليدل على المنهج البنوي، وهذا ما نجده في كثير من الدراسات العربية المترجمة - لا سيما في النقد المغاربي - بينما يعتبرها صلاح فضل نظرية وَيُسَمُّها بالبنائية في كتابه (نظرية البنائية في النقد الأدبي) وهو من أهم المصادر في هذا المجال. ويسر يكتشف الباحث أن عدد الترجمات كبير ومتعدد ومختلف مقارنة بالمصطلح الغربي الواحد، وهذا ينطبق على معظم المصطلحات النقدية الوافدة من الغرب، بمعنى أن تلقينا للمصطلح الغربي كان "تلقي فردي مشتت تعوزه روح الانسجام والتناسق، قائم على جمل الجهود الفردية بعضها بعض، وفي حالة العكس فإنه مطبوع - على العموم - بالتعصب للأنا الفردي، فالتونسي يتعصب للهيكلة، والمصري للبنائية، واللبناني للبنائية، والجزائري للبنوية، وهلم جرا"⁷، ومن أمثلة ذلك أيضاً مصطلح السيمياء الذي يعني "(العلامة) أما علم هذه العلامة فينبغي أن نعبّر عنه بـ(علم السيمياء) أو بصيغة المصدر الصناعي (السيمائية) وعلى النقيض من ذلك فإن الإطناب كل الإطناب في اصطلاح صلاح فضل (علم السيميولوجيا) الذي يكرر العملية بالصيغتين: العربية (علم) والأجنبية (لوجي logy)⁸"، نلاحظ أنه ورغم وجود ترجمة واضحة ودقيقة وكاملة للمصطلح لا غموض ولا لبس فيها إلا أن الباحث صلاح فضل لجأ إلى الرؤية الفردية الضيقة الذاتية.

ونبقى دائماً مع مصطلح السيميائية وما أثاره من إشكاليات في ترجمته ومفهومه على السواء، والمشكل هنا راجع إلى أن ملفوظ السيميائية في الجغرافية الأمريكية له دلالة ثقافية تحيل إلى خلفيات فلسفية عامة بما في ذلك العلامات غير لغوية، في حين أنّ السيميولوجيا في منبته الثقافي الأوروبي هو أقرب إلى العلامة الأسنسية، "فكان الأول أعتق تاريخاً وأوسع موضوعات من الثاني، فضلاً عن تباينها في مجال جغرافية التداول"⁹، فهذه الجزئيات المهمة جداً لم يعطها المترجم العربي أي اهتمام، وهو ما أثر سلباً على فهم المنهج وترجمة مصطلحاته، ومن جهة أخرى تتبعه لتيار على حساب تيار آخر.

ومن القضايا التي أثارت اختلاف النقاد في وضع المصطلحات النقدية أو ترجمتها هو الاختلاف في ترجمة الكتب والمقالات ومن أمثلة ذلك ترجمة المقالات والكتب حول موضوع السرديات من اللغات الغربية - خاصة من الفرنسية والإنجليزية - إلى العربية، وهنا نستحضر ترجمة عنوان كتاب (*Recent theories of narrative*) لصاحبه (ولاص مارتين) (*Martin, Wallace*)، حيث قامت الباحثة العراقية (حياة جاسم محمد) بترجمته إلى (نظريات السرد الحديثة)، معتمدة على محتوى الكتاب الذي تناول فيه (ولاص) فرش تاريخي للنظريات السردية الحديثة انطلاقاً من نظريات الرواية التي طفت على الساحة النقية الغربية مطلع القرن الماضي، وقد ناقش فيه آراء الكثير من النقاد الغربيين أمثال الناقد والمنظر الأدبي الكندي (نورثروب فراي)، والباحث الأمريكي (واين س. بوث)، والشكلافي الروسي المشهور (فلاديمير بروب) وقد وقف كثيراً عند المنجز المتميز في مجال نقد السرد وتحليله لدى الشكلايين الروس، كما تعرض لبعض الاتجاهات الحديثة في مقارنة الرواية، "لكن ما يستحق الوقوف عنده من خلال هذه الترجمة هي مسألة ترجمة المصطلح الإنجليزي *Narrative*، فقد ترجم بالسرد، وهناك كتاب آخر مترجم للناقد الفرنسي جيرار جينيت *Discours du récit* أو بالإنجليزية *Narrative discours* فجاءت ترجمة بعنوان خطاب الحكاية، وهنا نسجل مقابلين لمصطلح واحد: الحكاية والسرد، لذلك نتساءل: على أي أساس يقوم المشتغلون في حقل السرديات بترجمة المصطلحات الأجنبية؟ وكيف يتفقون على توحيدها؟"¹⁰، ولا يخفى على المبتدئ في هذا المجال

الاختلاف الصارخ بين مصطلحي السرد والحكي فالأول يحيل إلى تقنية يستعملها الروائي أو القاص، بينما الحكي يحوي تقنية السرد إضافة إلى تقنيات أخرى كالزمان والمكان والشخص والحدث والحوار والتبئير والسرد والوقف والاستدكار والاستشراف والوصف والتكرار والحذف والاضمار وغيرها الكثير.

كما نلاحظ أيضا التعدد في وضع المقابل للمصطلح الأجنبي ومن ذلك المصطلح الذي عربه الباحث الجزائري في مجال السيميائية (رشيد بن مالك) بـ "إيزوطوبيا بعد أن وضع له مقابلا (نظيرة)، وقد ترجمه كل من الدكتور عبد الملك مرتاض والدكتور عبد القادر فيدوح بالتشاكل، في حين نجد من ترجمه بالتناظر أو (القطب الدلالي) كما هو عند بورايو¹¹، هذا في البلد الواحد ونعني الجزائر، فما بالنا إذا قمنا بالتنقيب عن ذلك في الاقطار العربية الأخرى فلا ريب أننا سوف نجد اختلافا وتضاربا كبيرين في قضية ترجمة المصطلح النقدي الغربي.

ومن نماذج الاختلاف والتنافر والتباعد بين النقاد العرب في مجال المصطلحية، وترجمة، وتبني المصطلحات الغربية "يواجه الباحث مصطلحات عديدة لمسميات متشابهة أو متقاربة، "فنسمع بالنقد الشكلي والنقد الشكلي والنقد الإستيتيكي، والنقد الفني، والنقد الجمالي، والنقد الأسلوبي، وهي مصطلحات للدلالة على المنهج، أو النقد الذي يضفي الأهمية في النص الأدبي على الجانب الشكلي الخارجي، ويهون من قيمة المضمون"¹².

ولا شك في أن التجديد مطلوب في الساحتين الأدبية والنقدية على السواء وهذا التجديد يجب أن يجمع بين الجهود السابقة عليه، لأن التجديد لا يمكن أن يعطي ثمارا يانعة عندما يحدث قطعة معرفية بين السابق واللاحق، فالربط بينهما هو بمثابة حلقة من حلقات التواصل وبالتالي التطور والتقدم، فتوحيد الجهود والاستفادة من الأسلاف وتجاربهم في مجال الصناعة المصطلحية سيؤدي حتما إلى خلق جهاز مصطلحي عربي موحد في مجال النقد الأدبي لأن "الميل إلى التجديد ليس مبررا للإسراف في استخدام مناهج وأساليب في النقد مستمدة في أغلبها من الغرب، أو تطبيق مصطلحات ليست صادرة من صلب إبداعنا الأدبي، أو ليست نابعة من التكوين الأصيل لتجربتنا الأدبية الخاصة بنا، فنحن مع التفاعل... ولكن التفاعل شيء والخضوع أو استسهال الخضوع للمناهج والمصطلحات الغربية شيء آخر"¹³، وربما ولد الخضوع هذا الخلط والتضارب وحب الأنا في الساحة النقدية العربية عموما وفي مجال صناعة المصطلح النقدي بوجه الخصوص.

وتأكيدا على وجود مشكلة متفاقمة يذهب الباحث المصري (عبد العزيز حمودة) إلى الاعتقاد بأننا حين نعتمد على النقد الغربيين في نقل المصطلحات النقدية المعاصرة بمنأى عن معرفة وفهم خلفيتها الفكرية والفلسفية فإننا -حتما- سنفرغه من محمولاته الدلالية وبالتالي سوف "يفقد القدرة على أن يحدد معناه، فإذا قلناه بعواقبه الفلسفية أدى إلى الفوضى والاضطراب إذ إن القيم المعرفية القادمة مع المصطلح تختلف بل تتعارض أحيانا مع القيم المعرفية التي طورها الفكر الغربي المختلف"¹⁴، ويخلص إلى أننا سوف نرتكب خطأ جسيما في حق المعرفة النقدية عندما نقوم بتبني تلك المصطلحات النقدية الوافدة علينا من الضفة الأخرى وهي مصطلحات ذات بعد فلسفي مبدئيا وبكل ما تحويه من عوالم إستيمولوجية وإيديولوجية وثقافية مختلفة تمام الاختلاف عن الثقافة العربية وقد تتضارب معها في كثير المحطات.

لعل اندفاع نقادنا نحو المصطلح الغربي بكل تداعياته واعتباراته هو الذي زاد الإشكالية تعقيدا، وهذا تماما ما حال دون بعض نقادنا من الاستفادة من التراث متناسين أن الغربيين أنفسهم يلجؤون إلى تراثهم اليوناني والروماني

يأخذون منه مصطلحاتهم، وربما البعض لا يدرك الظروف "التي نشأ فيها المصطلح والأسباب التي دفعت إلى وضعه، ولم يطلع على الأدب الأجنبي اطلاعا يؤهله إلى فهم المصطلح فيها دقيقا، واكتفى بما يكتب عن الأدب من انفعالات وأوقته في الخلط والاضطراب"¹⁵، كون الحضارة اليونانية حضارة وثنية، بينما الحضارة الرومانية حضارة إنجيلية، وهذا بالتأكيد يكون له الأثر الأكبر في روح المصطلح ودلالته، والأيدولوجيات التي يشحن بها خاصة ما تعلق بقضايا العقيدة والمقدس، ومن الأمور التي أزمت الوضع أيضا ووضعت صناع المصطلح النقدي بين حيرتين إن صح التعبير - حيرة الارتباط بالتراث وحيرة التوجه إلى الغرب، لذلك نجد أن العديد من نقادنا من يلجأ في بعض الأحيان إلى شرح أو تفسير مفاهيم المصطلحات التي يعتمد عليها في تحليله، وأحيانا أخرى "يكتفي بربط المصطلح العربي بالمصطلح الأجنبي، كأن يكتفي بوضع الأصل الفرنسي أو الإنجليزي بجوار المصطلح العربي المقترح... ويستخدم الناقد في أحيان كثيرة اللغة الأدبية في وصف الظواهر الفنية في العمل الأدبي، وبهذا فإن المفهوم الذي يمكن الإشارة إليه بكلمة واحدة يظل الناقد يوحي به عن طريق المجاز حيناً، والتشبيه حيناً آخر، وضرب الأمثلة حيناً ثالثاً"¹⁶، وهذا كما يبدو طريقة استلهمها نقادنا من التراث، وهي طريقة أقل ما يقال عنها أنها تحمل مزالق فكرية عديدة كأن تضلل القارئ وتعطيه مفاهيم أدبية أو مجازية عن المصطلح الغربي وقد تكون تلك الشروحات والتفسيرات واللغة الأدبية خاطئة تماما ولا تصيب كبد حقيقة ذلك المصطلح إطلاقاً، لأن هذه الطريقة هي طريقة عتيقة اعتمدها التراثيون والنهضويون العرب عندما لم تكن لدينا قاعدة وأساس لصناعة المصطلح النقدي، أما في ظل العولمة وتطور وتقدم العلوم فعلى الناقد العربي أن يعيد حساباته. لقد حفل التراث العربي بالمصطلحات خاصة البلاغية واللغوية عند تحليل النصوص الأدبية، وقد اعتمدها رواد النهضة خاصة في كتابات حسين المرصفي في الوسيلة الأدبية وحمزة فتح الله في المواهب الفتحية ومحمد الموييلي في نقده لشعر شوقي"¹⁷، وسرعان ما تخلّى هذا الاتجاه المحافظ على التراث أمام زحف الاتجاهات الغربية الحديثة، واقتبل الجيل الذي جاء بعد الرواد على المصطلح التراثي انقلاباً كلياً، ورأى فيه قصوراً عن مواكبة مستجدات العصر وروحه التي تتميز بالعلمية والدقة والتخصص بعيداً عن الانطباعية والذاتية التي ميزت التراث ردحا من الزمن.

4- كيف نحل مشكلة المصطلح النقدي العربي؟

بعدما عرضنا المشاكل التي تعرض لها المصطلح النقدي في المدونة النقدية العربية، لاحظنا أن جل المشاكل التي يعاني منها هي ذلك الاختلاف والتضارب والذاتية في تبني المصطلحات الغربية سواء ترجمة أو تعريباً، و"لتطوير الدرس النقدي ومناهجه هناك دعوات كثيرة تدعو للخروج من إشكالية المصطلح النقدي، وتبدو منطقية ولكنها في الواقع ذاته ليست عملية ... ما تحتاج إليه هو إعادة قراءة التراث النقدي وإعادة قراءة المناهج النقدية المعاصرة كي تؤسس رؤية تكاملية"¹⁸ فتراثنا غني بالمفاهيم النقدية لما للنقاد العرب القدامى من كتابات استطاع الغرب استثمارها وتحويرها ونسبتها إليه كما هو واضح مع جمود البلاغيين من أمثال (البرجاني) و(السكاكي) و(القزويني) و(الجاحظ) وغيرهم.. كما أنّ اللغة العربية غنية جداً بمفرداتها إذ تعتبر من أغنى اللغات في العالم إضافة إلى مرونتها ودقتها في الآن نفسه إذ باستطاعتها أن تعبر عن أي معنى وعن أي مفهوم، وما زادها قوة هو نزول كتاب الله تعالى بها، إذا فالتصور فينا نحن لا في اللغة العربية.

ويبدو أن محاولات المهتمين بهذا المجال لازالت مستمرة، فقد حاول بعض الدارسين والمهتمين بصناعة وترجمة المصطلح النقدي العرب للحد من هذه الإشكالية، وحاولوا تقديم جملة من الحلول والاقتراحات يمكن أن نخترلها فيما يلي:

- الاهتمام بإنجاز معاجم ترجمة حديثة باختيار المداخل بدقة وتنظيم، انطاقا من التراث؛ هذا من أولى أولويات حاجيات لغتنا العربية إليها لمواكبة التطور الحضاري.
- من أجل وضع مصطلحات جديدة ينبغي كتابة المصطلحات التي تمّ مداولتها بشكل كبير في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة.
- تقديم المصطلح وتعريفه من الناحية اللغوية والاصطلاحية والوقوف على اختلاف المذاهب الأدبية في تحديده وذكره بلغة أجنبية واحدة أو أكثر لمعرفة المقابل الأجنبي والاستفادة منه في الترجمة والتأليف.
- حتى يتمكن القارئ العربي من الاستعانة والاستفادة بما تمّ ترجمته لأجل التأليف ينبغي أن يتناول المصطلح لغوياً باختلاف اللغات واصطلاحياً ويتأشى والمذاهب الأدبية.
- لموسوعات الأدب الأجنبي أهمية بالغة لما تحتوي عليه من معارف، لنا ينبغي على القارئ العربي أن يتمكن من الاطلاع عليها.
- وضع معجم المصطلحات في تخصص النقد الأدبي، ينبغي أيضاً وضع قواسم مشتركة بينها
- لا يمكن الوصول إلى الدلالة المعرفية للمصطلح ، إلا بتضافر جهود القائمين في هذا المجال سعياً جاداً في عمل مشترك لتحقيق ثمره العمل الجماعي في محاولة إيجاد حلّ الإشكال الناتج عن عملية الترجمة.
- لن تتحقق الترجمة إلا في ظلّ التعاون العربي في اللجوء إلى طريقة أنسب مع ضرورة الالتزام بها، يعود لها الفضل في وضع قواعد موحدة.
- حتى يتسنى للمهتمين بعالم الترجمة التخلص من الأعمال الفردية أو على أقلّ تقدير الحدّ من انتشار هذه الظاهرة بشكل واسع، ينبغي أن تؤسّس لهذا الغرض جماعة من البارعين في علم المصطلح، تُسدى إليها مهمة مراقبة عملية تطبيقه ضمن النصوص العربية، في مختلف الأقطار العربية.
- نظراً لأهمية توحيد المصطلح في الوطن العربي، قام مجمع اللغة العربية لجامعة الدول العربية بمبادرة رائدة تمثلت في تكوين لجنة ضمت عدداً من المتصلين في علم المصطلح، فتضافرت الجهود لهذا الغرض بهدف الوصول إلى توحيد في كافة ربوع الوطن، مع ضرورة استعمال المصطلحات التي تولى المجمع ترجمتها والسعي الجاد وراء تطبيقها، بهذه المبادرة الحسنة يمكن القضاء على الأعمال الفردية في ترجمة المصطلح.
- وبهذه الاستراتيجية العلمية يمكننا السيطرة على الانفلات المصطلحي في مدونتنا النقدية، ونستطيع إنتاج معرفة علمية في مجال النقد سواء محلية أو مستقاة من الغرب على أسس صحيحة ودقيقة، ونبتعد بالتالي عن الاختلاف والتشرد والذاتية التي تؤخّر أكثر مما تقدّم.

5- خاتمة:

بعد هذه الرحلة العلمية في رحاب المصطلح النقدي العربي المعاصر وما تتعرض له صناعة هذا المصطلح وترجمته من انتهاك واختلاف وتعارض وذاتية خلصنا إلى أن سبب هذا كله راجع أساساً إلى الاختلاف الذي نغايته فيما بيننا إضافة إلى تعدد مشارب النقاد العرب الغربية واختلاف توجهاتهم، الإشكال ليس في اللغة العربية أبداً، ولا في التراث العربي، بل الإشكالية الكبرى في الفهم أولاً وسوء الترجمة ثانياً، ويا ليت هذا الاختلاف كان من قطر عربي إلى آخر، إننا كثيراً ما نجد الاختلاف والتباين في القطر الواحد، بل قد يتعداه - كما أسلفنا الذكر - إلى الناقد الواحد، فنجد اليوم يستعمل مصطلحاً وغداً يثور عليه معتمداً غيره بدعوى التطور وعمق الفهم أو بدعوى مواكبة العصر.

6- قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم أحمد ملحم، الخطاب النقدي وقراءة التراث نحو قراءة تكاملية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007.
- أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي وضبط منهجيته، مجلة عالم الفكر، منشورات وزارة الاعلام، الكويت، 1989، مج 20، ع 03.
- أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2001.
- أوريدة غبود، المصطلح النقدي في الخطاب العربي بين المفهوم والتأسيس، مجلة معارف، جامعة البويرة، الجزائر، السنة 12، ع 22، جوان 2017.
- عبد القادر حاج، إشكالية المصطلح النقدي من التراث إلى الحداثة، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة، الجزائر، ع 4، 2018.
- حامد حسن أبو شاوش، مشكلة المصطلح في النقد الأدبي الحديث، مجلة كلية التربية، يناير 1997، مج 01، ع 1.
- رشاد الحمزاوي، مشاكل وضع المصطلحات اللغوية، مجلة اللسان العربي، الرباط، المغرب، ج 10، ع 18.
- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.
- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من النبوية إلى التفكيكية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992.
- عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2001.
- فاضل ثامر، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الحديث، مجلة نزوى، الموقع الإلكتروني: <https://www.nizwa.com>
- محمد عبد الرحيم، أزمة المصطلح في النقد القصصي، مجلة فصول، مج 9، ع 3، 1987.
- ميلود عبید منقور، إشكالية المصطلح النقدي (مصطلحات السيميائية السردية نموذجاً)، مجلة التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع 104 كانون الأول 2006 السنة 26.
- وليد محمد خالص، الدرس النقدي القديم بين النظرية والمصطلح، الوراق للنشر، عان، الأردن، 2004.
- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.

7-الهوامش:

- 1- رشاد الحمزاوي، مشاكل وضع المصطلحات اللغوية، مجلة اللسان العربي، الرباط، المغرب، ج 10، ع 18، ص 75.
- 2- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص 56/55.
- 3- أحمد مختار عمر، المصطلح الألسني العربي وضبط منهجيته، مجلة عالم الفكر، منشورات وزارة الاعلام، الكويت، 1989، مج 20، ع 03، ص 583.
- 4- المرجع السابق، ص 154.
- 5- حامد حسن أبو شاوش، مشكلة المصطلح في النقد الأدبي الحديث، مجلة كلية التربية، يناير 1997، مج 01، ع 1، ص 207-208.

- 6- ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص. 242-243.
- 7- حاج عبد القادر، إشكالية المصطلح النقدي من التراث إلى الحداثة، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة المسيلة، الجزائر، ع. 4، 2018، ص. 131.
- 8- وليد محمد خالص، الدرس النقدي القديم بين النظرية والمصطلح، الوراق للنشر، عمان، الأردن، 2004، ص. 24.
- 9- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص. 228.
- 10- ميلود عبید منقور، إشكالية المصطلح النقدي (مصطلحات السيميائية السردية نموذجاً)، مجلة التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ع 104 كانون الأول 2006 السنة 26، ص. 51.
- 11- ينظر: ميلود عبید منقور، إشكالية المصطلح النقدي (مصطلحات السيميائية السردية نموذجاً) ص. 55.
- 12- حماد حسن أبو شاوش، مشكلة المصطلح في النقد الأدبي الحديث، ص. 213.
- 13- حماد حسن أبو شاوش، مشكلة المصطلح في النقد الأدبي الحديث، ص. 208.
- 14- عبد العزيز حمودة، المرايا المهدبة من البنيوية إلى التفكيكية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص. 55.
- 15- أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، 2001، ص. 23.
- 16- محمد عبد الرحيم، أزمة المصطلح في النقد القصصي، مجلة فصول، مج 9، ع 3، 1987، ص. 99-100.
- 17- فاضل ثامر، إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الحديث، مجلة نزوى، الموقع الإلكتروني: <https://www.nizwa.com>
- 18- إبراهيم أحمد ملحم، الخطاب النقدي وقراءة التراث نحو قراءة تكاملية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2007، ص. 153.